موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «كشف الشبهات»

الدرس الرابع عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

أخي الطالب إرسالك للأخطاء التي تتخلل التفريغ يسهِّل إخراج نسخة مصححة
attafreegh@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الرابع عشر

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس].

فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ [لاَ نُنْكِرُ] (١) إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ، وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ و[الضَّلَالَاتِ]، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هٰذا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا [كَبِيرُ] الاعْتِقَادَ، هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لا يُشْرِكونَ وَلا يَدْعُونَ المَلاَئِكَةَ أَوِ الأَوْلِياءَ أَوِ الأَوْثَانَ مَعَ اللهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[الإسراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[الأنعام]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾[الزمر]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[لقمان:٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَها اللهُ فِي كِتَابِهِ؛ وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي [الضُّرّ وَ]الشِّدَّةِ فَلا يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ = تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ؛ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟! وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

---

(١) هنا: لم نذكر.

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد؛ فأسأل الله جل وعلا لي ولك العلم النافع والعمل الصالح والقلب الخاشع، وأن يجعلنا ممن إذا علموا عملوا، وإذا عملوا سألوا الله جل وعلا الثبات والرشد والسداد.

اللّٰهمَّ لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين، فلا حول لنا ولا قوة إلا بك.

ذكر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ مسألةً جديدةً يوردها المشركون ويُلَقِّنُها من يُلَقَّنُها من عوامِّ المشركين ومن المتعلِّمين عندهم، وهٰذه المسألة هي مسألة كرامات الأولياء، فإنَّ عُبَّاد الأموات وعبَّاد غير الله جل وعلا في الأعصر المتأخِّرة يروِّجون كرامات الأولياء ليَدُلُّوا الناس بذلك علىٰ أن هٰذا الولي الذي صار له من الكرامات كذا وكذا أنه يستحقُّ أن يُدعىٰ وأن يُستشفع به وأن يُستنصر به وأن يُستعاذ به، وأن يُتوكل عليه إلىٰ آخر أنواع العبادة، فجعلوا حصول الكرامات ورؤية من رأىٰ هٰذه الكرامات والإقرار بذلك، وأنَّ أهل السنة يقرُّون بكرامات الأولياء، جعلوا ذلك سُلَّما لدعوة الناس لعبادة غير الله جل وعلا، وهٰذه حجَّة كثيرٌ ما يردّدها الخرافيون، فينبغي لأهل التوحيد وللدعاة إليه أن يقفوا عند هٰذه الشبهة كثيرا، وهٰذا الوقوف بيّنه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ أتمّ بيان.

فقال: (وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[يونس].

فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ)؛ يعني أن قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رُتِّبَ آخره علىٰ أوله فجَعل الأولياءَ لهم كرامة، وهٰذه الكرامة هي أنهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فالولي -ولي الله جل وعلا- الذي حقق الوَلاية بالإيمان والتقوىٰ لا خوف عليه ولا يحزن، وهٰذا ظاهر الآية، ودلَّ ذلك علىٰ أن هؤلاء لهم منزلة خاصة عند أهل الإيمان؛ بل عند الله جل وعلا، وهٰذه المنزلة إنما هي لأجل إيمانهم ولأجل تقواهم، ولهٰذا قال بعدها في وصف الأولياء: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[يونس]، ففي الآية التي ساقها الشيخ ذِكر الأولياء وذِكر أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهٰذه يحتج بها كل من يعبد غير الله جل وعلا، ويحتجون بها علىٰ أنَّ الوَلي له ما ليس لغيره، فماذا يصنع الموحّد لجواب هٰذه

الشبهة؟ قد ينساق إلىٰ أن يقول: إنَّ هٰذا الذي تقول: إنه ولي ليس بولي أصلا، وهٰذا يجعل الموحِّد في زاوية ضيِّقة ويُحرج نفسه كثيرًا؛ لأنه يخرج عن ميدان الحجة إلىٰ ميدانٍ الحجة فيه متوهَّمة.

فميدان الحجة أنَّ الولي يَعبد ولا يُعبد، وهو من جهة غيرته يخطئ فيقول: هٰذا أصلًا ليس بولي.

فمثلا لو ناقش أحدا عن عبادة البدوي، وما يحصل عند قبره من الاستغاثة بغير الله ومن النذور للبدوي ومن الاستعانة به، ومن طلب كشفه للضُّر وأشباه ذلك، لو جاء وناقش من يقول: هٰذا ولي والله جل وعلا يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. قد يبتدئ بعض أهل التوحيد فيقول: من قال لك أن هٰذا ولي؟

فتنصرِف الحجة إلىٰ مسألة يصعب معها الإثبات أو النفي.

فيكون ذاك يستدل بما يورده أصحاب الكرامات أنه كان له كذا وكذا، ونذهب عن أصل المسألة وهي أنه لا يُعبد سواءً كان وليًّا أو غيرَ ولي إلىٰ: هل هو ولي أم لا؟

وبعض الموحدين في بعض الأقطار الإسلامية يسلكون هٰذه الطريقة، وهي غلط وليست علىٰ طريقة أهل العلم وأئمة الدعوة رحمهم الله، وليس كذلك أيضا ما جاء في القرآن من تقرير التوحيد ومناقشة المشركين في آلهتهم.

فإنَّ الذي في القرآن أنَّ الآلهة التي عُبدت أنها لا تستحق العبادة قال جل وعلا: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[النجم] إلىٰ آخره، بيَّن أنه لا تستحق العبادة، وكذلك فيما هو غير ذلك من عبادة من يُعبد، بيّن أنه لا يستحق العبادة، أما الكلام في ذاته وأحواله فهٰذا ليس من الدعوة الحقّة؛ بل يُترك هٰذا؛ لأن الغرض هو تقرير التوحيد.

فإذا قال لك: هٰذا وليّ من أولياء الله. فلو كان عندك ليس بولي؛ بل نقل عنه العلماء ونقلت عنه التراجم أنه كان يترك الصلاة وأنه كان يقول كلمات كفرية أو لم يكن صالحا، أو كان كافرا أو إلىٰ آخره، فلا تذهب إلىٰ هٰذا؛ لأنَّ مصير هٰذا الرجل عند الله جل وعلا.

ولكن اذهب إلىٰ الحق المطلق، وهو أنّ الولي يَعبد ولا يُعبد، وأن الكرامات التي أُعطِيها الولي له وليست لغيره، وهٰذا هو الذي بيّنه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ هنا فقال: (فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ)؛ يعني أنّ الأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ)؛ يعني أنّ الأولياء في الآية أنهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾، وأن ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ ، لم يذكر أنهم يعبدون؛ بل في آيات أُخر بيَّن أن من اتخذ وليا من دون الله فقد ضلّ وخسر خسرانا مبينا كما قال جل وعلا: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾[الرعد:١٦]، وكقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء]، يعني أنّ المردّ ليس إلىٰ كونه وليًّا أو غير ولي، المردّ أن العبادة لله جل وعلا وحده، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ فهٰذه الآية قد تنفع أهل التوحيد في الاحتجاج علىٰ أهل الشرك في أنّ الله جل وعلا ذكر أن الأولياء لا يُتخذون من دونه، ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني فيكون من دونه؛ يعني من دونه في العبادة أولياء فجعلتُم الأولياء معبودين.

وهٰذا وإن كان ليس هو من تفسيرها الصحيح؛ ولكنها حجة في رد الاحتجاج بلفظ الأولياء علىٰ العبادة، وإلا فمن المعلوم أن قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ لا يُقصد به فلان الولي إنما يقصد به الوَلاية؛ يعني النصرة والمودة وأشباه ذلك؛ لكن هٰذه الآية وأشباهها في القرآن يُحتج بها علىٰ إبطال التعلُّق بلفظ الأولياء.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا قال: (فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ) يعني أن الآية دلت علىٰ أن هؤلاء الأولياء لهم الكرامة، لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ ولكن ليس في الآية أنهم يُعبدون، ولا أنهم يستغاث بهم، ولا أنهم يُدعون من دون الله جل وعلا.

قال بعد ذلك: (وَنَحْنُ [لم نذكر] إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ) يعني أننا لم نتكلم معك بأن هٰذا ليس بولي وليس بصالح وليس له كرامات؛ بل له كرامات وهو ولي وهو كذا وكذا؛ لكن ليس معبودًا مع الله جل وعلا، ونحن لم نناقشك في شأنه؛ بل شأنه وكرامته إن حصلت له والأمر غيبي فهو عند الله جل وعلا ولا يُدرىٰ بماذا خُتِم له؛ لكن إن كان مات علىٰ الولاية فهو عند الله جل وعلا له مقام الأولياء، ونحن لم نتكلم معك في شأن ولايته هل هو ولي أو ليس بولي، إنما الكلام في أنه هل يستحق أن يُعبد؟ هل هو يشرك به مع الله في هٰذه الأفعال التي تفعلونها أم لا؟ فهٰذا يجعل الموحِّد مُنصفًا، ويجعله صاحب برهان جيد وواضح، ويجعله أيضا حاذقًا بأن لا يجرُّه الخصم إلىٰ ميدان معركة يصرفه فيها عن الحق.

مثل مرّة أتاني بعض الإخوة وقال: هناك رجل من بعض البلاد الأفريقية يريد أن يبحث بعض الأمور وأنا ذكرت له أن يأتيك. جاءني وذكرت له بعض المسائل في التوحيد وتعريف التوحيد والعبادة وكلام أهل العلم في الشرك.. إلىٰ آخره بكلام مطوّل. فقال: الذي كرَّه الذين يدعون إلىٰ التوحيد في بلادنا -كرّه الناس فيهم- هو أنهم ينشرون في الناس أن هؤلاء الذين يتعلَّقون بهم أنهم ليسوا بصالحين وليسوا بأولياء؛ بل هؤلاء الأموات منهم المشرك ومنهم الكافر ومنهم الذي كان يفعل كذا ويفعل الموبقات، فينشرون أشياء عنهم لا يمكن أن نقبل حميةً لهم ولهؤلاء الأولياء لا يمكن أن نقبل أن يتكلم أحد فيهم، فأخذتنا الحمية لهم عن سماع ما عند هؤلاء من الكلام في التوحيد.

وهٰذه في الحقيقة أفادت كثيرا مع أنها واضحة في «كشف الشبهات»؛ لكن أفادت من حيث التطبيق فإن الذي ينبغي علىٰ طالب العلم أن يكون صبورًا في دعوته، وأن لا يستجره الخصوم إلىٰ ميدان ليس هو ميدان الدعوة؛ بل يركِّز علىٰ الأصل الذي دعا الناس إليه، وأما الكلام في فلان وهل هٰذا كان وليا أو ليس بولي صالح أو ليس بصالح ليس الكلام في هٰذا.

أولياء الله جل وعلا عندنا لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولهم الكرامات؛ لكن الكلام أنه هل يُجعل الولي معبودا مع الله؟ هل يستغاث بالولي؟ هل يذبح للولي؟ وإلا فلا شك أن الولي له المقام عند الله جل وعلا إذا خُتم له بخير.

وهٰذا يجعل الموحد يحتج بحجة واضحة ولا ينساق بعاطفته إلىٰ إثبات شيء أو إبطاله لا صلة له بمحض الحق أو ربما يكون هٰذا متأخرا من حيث الاحتجاج.

قال: (فَقُلْ: هٰذا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ [لم نذكر] إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، و[إِشْرَاكَهُمْ] مَعَهُ) وهنا لو قال: كيف أُشرك بهم؟ هل عبدوا لم يعبدوا؟ ترجع إلىٰ المسائل التي مرت في الدرس الماضي بتفصيلاتها.

قال: (وَإِلَّا فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ) الواجب علينا جميعا حب أولياء الله جل وعلا إجمالا وتفصيلا فيمن علمنا أنه من أهل الإيمان والتقوىٰ، (وَاتِّبَاعُهُمْ) علىٰ ما هم عليه من العمل؛ ولأنهم لم يكونوا أولياء إلا باتباع محمد عليه الصلاة والسلام، ولهٰذا نتبعهم فيما به صاروا أولياء، فنحب نبينا عليه الصلاة والسلام ونتبع سنته ونحكِّم ما جاء فيها علىٰ مرادات القلب وعلىٰ

الظاهر، وعلىٰ المقامات وعلىٰ الأحوال التي تعرض، (وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ) يعني الواجب أن نقرّ بكرامات الأولياء؛ لأنه لا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال.

وذكرنا لك في الكلام علىٰ «الواسطية» معنىٰ كرامات الأولياء، ومن هو الولي، وما شروط الوَلاية، ومذهب أهل السنة في كرامات الأولياء، والمذاهب في ذلك، فيُراجع في ذلك الموضع.

فقول الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: (وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ و[الضَّلال]) يعني بهم الخوارج والمعتزلة فإنه الذين يُنكرون كرامات الأولياء كما سبق.

قال: (وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ) هٰذا بعامة دين الله وسط بين الغالي والجافي.

الإسلام وسط ما بين غلو النصارىٰ وما بين جفاء اليهود.

وأهل السنة وسط ما بين الفرق بين الخوارج والمرجئة، وما بين المجسمة والمعطلة، وما بين الطوائف المختلفة في هٰذا الباب في الإيمان وفي أسماء الله جل وعلا وصفاته، وفي الأسماء والأحكام وفي الصحابة وفي أمهات المؤمنين وفي الفتن إلىٰ آخره، وأهل السنة أيضا وسط؛ لأن دين الله جل وعلا وسط.

قال: (وَهُدًى بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ).

أشار بذلك إلىٰ أن مسألة الأولياء منهم من غلا فيها فجعل الولي ينازع الله في الألوهية أو له نصيب من الألوهية كقول غلاة الصوفية والباطنية وطوائف جعلوا الولي له شيئا من خصائص الألوهية؛ بل جعلوا الولي يفوّض إليه شيء من الربوبية والعياذ بالله فهٰذا في الجهة الغالية.

والجهة الجافية كالخوارج والمعتزلة الذين أنكروا كرامات الأولياء، وذكرنا لكم أنهم أنكروا كرامات الأولياء حتىٰ لا تشتبه حجج الأنبياء والآيات والبراهين والمعجزات التي يعطيها الأنبياء بكرامات الأولياء.

فنحن –أعني أهل السنة– يقرون بأن الأولياء لهم كرامات، وأنهم مكرّمون عند الله وأن لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة كما أخبر الله جل وعلا بذلك عنهم؛ لكن لا نغلوا في ذلك ونجعل لهم صفات ليست في البشر، ولا نجفوا عنهم وننكر كراماتهم؛ بل نحن وسطٌ بين الجافين والغالين، فهم يَعبدون ولا يُعبدون ويُرزقون ولا يَرزقون، ويدعونه جل وعلا رغبا ورهبا وكانوا له جل وعلا خاشعين، ويدعون الناس إلىٰ محبته جل وعلا وإلىٰ توحيده وإلىٰ نصرته.

كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عن نفسه أنّ أصحابه وقعوا مرة في دمشق ومرة في خارجها في شدة فظهر لهم الشيطان في صورة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: أتَحتاجون شيئا فأنصركم؟ فمنهم من طلب منه فلما ذكروا ذلك لشيخ الإسلام، ظن بعضهم أنه كان في دمشق وأنه جاءهم فقال: لا أنا لم أبرح مكاني، وهٰذا الشيطان عرض لكم ليوقعكم في الشرك.

وإذا تأمّلت في سيرة الأولياء الصالحين من الصحابة فمن بعدهم ومن أهل البيت وجدتهم جميعا ينكرون الشرك بالله جل وعلا، ويأمرون أتباعهم بالإخلاص -إخلاص الدين لله- واتّباع السنة وعدم مخالفة الكتاب والسنة، والرَّغب فيما عند الله وحده، وألا يُعَظَّم البشر كتعظيم الله جل وعلا التعظيم الذي لا يجوز له.. إلىٰ آخر ذلك.

فمن جمع كلام الأولياء في التوحيد وجد أنهم أقاموا الحجة علىٰ من اقتدىٰ بهم أو من اتبعهم، ومعلوم أن الفِرَق الصوفية والطرق المختلفة بَنَتْ كلُّ طريقة علىٰ أقوال شيخٍ لها اعتقدوه وليا فأخذوا كلامه.

فيناسب الموحِّد في البلد الذي يكون فيها طائفة من الطوائف الصوفية أو الطريقة أن يجمع كلمات هذا في مؤلَّف وينشرها بينهم لتكون حجة بين من أخذ بطريقة هذا الشيخ.

فمثلا في البلاد التي فيها عبد القادر الجيلاني، عبد القادر له كتب قيمة «الغنية» وغيرها و«الفتوحات» كتب فيها التوحيد وفيها الأمر بعبادة الله وحده، فلو استخرجت لكان فيها حجة علىٰ أقوامهم.

شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي لفت النظر إلىٰ هٰذه الطريقة حيث كتب الرسالة السُّنية المعروفة المسماة بـ«الوصية الكبرىٰ» لأتباع عدي بن مسافر، وعدي بن مسافر يغلو أصحابه فيه وطائفته يقال لهم العدوية في الشام، وكذلك نقل عن أحمد الرفاعي كلمات في الأمر بالسنة والنهي عن البدع والنهي عن الشرك؛ فيَحسن أن تكون طريقة الداعية في البلد أن يجمع كلام هؤلاء الأولياء -إذا كانوا بحق أولياء- ويقول للناس: هٰذا كلام الأولياء في التوحيد، فهٰذا فيه حجة في هٰذه المسألة ويعطي الحقيقة المخالف أننا نحب أولياء الله بعامة، وأننا نتولَّاهم ولا نردّ كلّ ما يقولون، وإنما نرد ما خالفوا فيه الحق فقط.

قال: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هٰذا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ، هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ) قوله (الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا هٰذا الاعْتِقَادَ) أو (**الاعتقاد**

الكبير) أو (كَبِيرُ الاعْتِقَادِ) يعني اعتقاد الناس في الأولياء وما لهم من الكرامات؛ لأنّ الاعتقاد قسمان عند الضلال؛ عند الخرافيين:

الاعتقاد العام؛ وهو الاعتقاد في الله جل وعلا؛ العقيدة المعروفة كل علىٰ حسب مذهبه، الأشعري علىٰ أشعريته، والماتريدي علىٰ ماتريديته، بحسب البلد الذي هو فيه.

وهناك شيءٌ يتّفقون عليه وهو الاعتقاد الكبير أو كبير الاعتقاد وهو الاعتقاد في الموتىٰ وفي تصرّف أرواحهم، وأن أرواحهم لها من التصرف والجولان في الملكوت ما يمكنها أن تسمع نداء من يناديها، أو أن تجيب طلب من يطلب منها، وأنّ لها التصرف في الكون، وأنها تطلب من الله، وأن الله جل وعلا لا يردّ لها طلبا إلىٰ آخره؛ ويُدخلون هٰذا في الحديث عن الأولياء؛ بل يجعلون كرامات الأولياء منشأ هٰذا الاعتقاد، فيذكرون الكَرامات الكرامات ثم يبعثون هٰذا الاعتقاد.

وكان هٰذا موجود في نجد، وهناك كتب أو رسائل مؤلفة في هٰذا في ذلك الزمان.

قال: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هٰذا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا -أو: كَبِيرُ الاعْتِقَادَ- هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرَيْنِ).

الأول: التَّفريق ما بين حال المشركين في هٰذا الزَّمان وفي زمان العرب الأوّل؛ لأنَّ أولئك لا يُشركون إلا في السّراء، وأمَّا إذا جاءت الشدة والكرب يعلمون أنه لا مُنجِيَ إلَّا الله، ويخافون أن يفوت الوقت عليهم باتخاذ الواسطة، فيقولون: هٰذا متىٰ يصل إليك؟ ومتىٰ يرفع؟ وهل سيرفع الآن أم لا يرفع الآن[1] حاجاتهم؟ فيجعلون التشفُّع في وقت السعة والإخلاص في وقت الضيق كما أخبر الله جل وعلا عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[لقمان.٣٢]، آية لقمان، والآية الأخرىٰ في العنكبوت ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت]، وقال جل وعلا أيضا في الآيات التي ساقها الشيخ: (﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾[الإسراء]) وهٰذه المسألة مُبيَّنة علىٰ التفصيل في شرحنا «للقواعد الأربع»؛ فهٰذه هي القاعدة الرابعة الأخيرة في «القواعد الأربع».

---

(١) انتهىٰ الشريط العاشر.

أهل هٰذا الزمان من المشركين عندهم أن الإشراك يكون في السراء والضراء علىٰ السَّواء؛ بل ربما عُظُم الرَّغب في وقت الضُّر فكانوا مثلا يعتقدون حتَّىٰ في الكتب، مثل ما ذُكر مثلا في بعض التراجم أن أهل بلدٍ سمّوها كانوا لا يرحلون في البحر إلا وقد وضعوا نسخة من كتاب «الشفاء» للقاضي عياض المغربي المعروف في السفينة، فهو إذن ليس اعتقادا في شخص ولكن هو في كتاب لما اشتمل عليه الكتاب من حقوق النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، وهٰذه تُراجع في شرح «القواعد الأربع».

قال في آخرها: (وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ الـمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.) صحيح فإن كثيرين ممن عارضوا الدعوة استغربوا من الشيخ أن يقول: شرك هؤلاء أعظم من شرك الأولين، قالوا: ما اكتفيت أن جعلتنا مساوين لأهل الجاهلية في الشرك حتىٰ تجعل شرك أهل الإسلام أعظم من شرك أهل الجاهلية؟ فقال: (أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ الـمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟)، وفي قول الشيخ: (أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ) فيه إشارة للمذهب الحق وهو أن الفهم والإدراك وأشباه ذلك مردُّها إلىٰ القلب، وليس إلىٰ الذّهن أو المخ أو العقل أو أشباه ذلك؛ يعني الذي هو الدماغ؛ ولكن العقل إدراكه من جهة القلب كقول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**» والقلب ليس محط الإدراك لأنه مضغة؛ ولكن لأنه المكان الذي فيه أصل انتشار الروح في البدن، تعلق الروح بالبدن، ومعلوم أن الإدراكات تبع للروح، فالروح هي المدرِكة ووسيلة الإدراك الآلات التي في البدن، فكما أن اليد وسيلة تناول الشيء والمحرّك الروح، وكذلك المحرّك الروح للسان والكلام الطيب أو بالكلام الخبيث، المحرك الروح في التصرفات، والبدن أعضاؤُه هٰذه وسائل لتنفيذ ما قام بالنفس، لهٰذا المدركُ في الحقيقة ليس هو البدن إنما المدرك الروح، والبدن وسيلة، البدن آلات، العينان آلة، واللسان آلة، والشم آلة، والمخ والدماغ آلة، والقلب آلة إلىٰ آخره= آلة لتحصيل المعارف للروح وهٰذه المسألة طويلة معروفة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هناذ: (وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ الـمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟!)، لاشك أن من فهم هٰذه المسألة فهما راسخا علِم أن هٰذا الذي قاله الشيخ حق وأن شرك هٰذا الزمان أعظم من شرك الأولين؛ لكن أين من يفهمه؟

قال المصنف رحمه الله :

وَالأَمْرُ الثَّاني: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ إِمَّا [نَبِيًّا]، وَإِمَّا [وَلِيًّا]، وَإِمَّا مَلائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وَأَشْجَارًا مُطِيعَةً للهِ تَعَالَىٰ لَيْسَت بِعَاصِيَةٍ، وَأَهْلُ زَمانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ مِنَ الزِّنَىٰ وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ وَالَّذي لا يَعْصِي -مِثْل الخَشَبِ وَالحَجَرِ- أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهَدُ فِسْقُهُ وفَسَادُهُ ويُشْهَدُ بِهِ.

هٰذه المسألة لأهل التوحيد، وليست للجواب علىٰ أهل الشُّبهات؛ بل هٰذه ليفهمها أهل التوحيد فهما راسخًا، وهي أنَّ الأولين يدعون مع الله أناسًا مقرّبين عند الله، أو يدعون أشياء مطيعة لله جل وعلا، إما يدعون أنبياء؛ مثل ما كان يدعىٰ موسىٰ، ويدعىٰ عيسىٰ، وتدعىٰ أنبياء بني إسرائيل، ويدعىٰ إبراهيم عليه السلام، أو أولياء من الصالحين كاللاتّ وكغيره، وإما ملائكة، ويدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست بعاصية، يدعون أشياء مسبِّحة لله مطيعة لن تخرج عن توحيده وطاعته.

وأما أهل الزمان هٰذا فيدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، فمثلا قوله: (مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ)، قد يكون من جهة أنه عُرف عنه في حياته الفسق والفجور بدعواه أنه سقطت عنه التكاليف، أو بكونه كان مجنونا وكان يفعل أشياء من الفسق والمنكرات والكبائر لجنونه، أو لكونه محادًّا معاندًا فاسقًا فاجرًا أو كافرا في نفس الأمر، هٰذا نوع.

والنوع الثاني: قد يدعون أشياء في محلَّات يكون الدعاء منصبّ علىٰ نصراني، أو يكون الدعاء منصبّ علىٰ حيوان، أو يكون الدعاء منصب علىٰ يهودي.. أو نحو ذلك.

وهٰذه المسائل تختلف باختلاف التحقيق فيها؛ يعني أن يقال: هٰذا الذي يدعىٰ ليس بصالح؛ بل هو نُقل عنه أنه قال لأتباعه: كذا وكذا، ذكر عن نفسه أنه سقطت عنه التكاليف، كان يعاشر المُردان أو النساء فيفعل كذا وكذا من الفواحش، كان يشرب الخمر، كان لا يصلي، كان يسرق، كان يحتال.. إلىٰ آخر ذلك، وهؤلاء لاشك أنهم ليسوا بأولياء وليسوا بصالحين؛ بل هم فسقة فجّار، وقد يكونون كفّارا.

صِنْفٌ من هؤلاء يدعىٰ الآن ويسأل، وهٰذا عند التَّحقيق إذا جمعت الكلام وجدت هٰذا الكلام صحيحًا.

المعاندون أو الخرافيون ينقسمون تجاه هٰذا الكلام إلىٰ ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول**: من يقول: هٰذا الذي تقولونه عنه ليس بصحيح أصلا، الذي ينقل عن عبد الوهاب الشعراني أنه قال: كذا وكذا وكذا، يقولون هٰذا مدسوس علىٰ كتبه ليس من كتبه أصلًا.

- **والصنف الثاني** من المتأولين من يقول: هٰذا الكلام لأهله فيه تأويل، فإن اصطلاحات الصوفية تختلف عن اصطلاحات غيرهم، فقد يقولون العبارات التي فيها كفر وليسوا يعنون ظاهرها، إنما يعنون معاني باطنة أخرىٰ يفهمها القوم، مثل: ما اعتذر عن ابن عربي بأنه كذا وكذا أراد مقاصد طيبة؛ ولكن فُهم كلامه علىٰ ظاهره، وهو لم يرد الظاهر، ومثل ما ينقل عن التلمساني وابن سبعين وأشباه هؤلاء.

- **والطائفة الثالثة** من تقول: هؤلاء سقطت عنهم التكاليف أصلًا، والتكليف يُراد منه أن يصفو الباطن ويَفْنَىٰ عن شهود سواه ويفنىٰ عن شهود غير الله جل وعلا، فإذا وصل إلىٰ هٰذه المرتبة فلم ير إلا الله جل وعلا، ولم يتجه إلا إلىٰ الله جل وعلا= فإن التكاليف والصلاة وتحريم الفواحش إنما هي لإصلاح نفسه، ونفسُه قد بلغت المرتبة العليا فليس لإصلاحها مجالٌ، وهٰذا قول الغلاة منهم، فيقول: لا بأس لو فعل هٰذه الأفعال هو أصلا وصل وسقطت عنه التكاليف.

وهؤلاء الطَّوائف الثلاثة موجود حتىٰ في المؤلفات من يتجه إلىٰ فئة من هٰذه الفئات الثلاث.

هناك من المدفونين من الموتىٰ من يُتَّجه إليه علىٰ أن المدفون فلان الولي ويكون المدفون غيرَه، مثل ما ذكر شيخ الإسلام عن قبر الحُسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في القاهرة فقد حقّق، والعلماء كذلك حققوا والمؤرخون أنه لم يصل القاهرة، وإنما سيق من العراق إلىٰ دمشق؛ إلىٰ يزيد بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ، ودُفن هناك، والآن تجد قبر للحسين في العراق ومشهد عظيم، وفي الشام، وفي القاهرة. قال: إن المدفون في القاهرة رجل يهوديٌّ في المكان هٰذا، وقالت طائفة المدفون حيوان أصلا في هٰذا المكان.

فإذن هم اعتقدوا في شيء؛ اعتقدوا في يهود، اعتقدوا في حيوانات، وهٰذا الصنف لم يكن يحوم حوله ذهن أو قلب أهل الجاهلية أصلا ولهٰذا صار هؤلاء أعظم وأقبح.

هناك عمود كان في دمشق يُذهب إليه بالحيوانات، أو بأنواع من الحيوانات مثل البقر أو الجاموس أو الأغنام أو الإبل.. أو أشباه ذلك التي لم تلد؛ يعني طالت ولادتها أو صار فيها مرض أو أشباه ذلك فيطوِّفونها علىٰ هٰذا العمود فتلقي ما في بطنها فورا، فيظنون أن هٰذا من بركة ما تحت العمود، ويقولون: هٰذا العمود كان يتعبد عنده رجل صالح.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بيّن قال: هٰذا العمود دُفن تحته رجل نصراني وساق الأدلة على ذلك، والحيوانات تسمع تعذيب النصراني في قبره، فلذلك إذا سمعت العذاب لن تتحمل فاستطلق بطنها؛ لأنه قد جاء في الحديث أنه «إذا تولىٰ عنه أهله طُرق بمطرقة يسمعها من يليه إلا الثقلان»، فالجن والإنس لا يسمعون العذاب؛ لأنهم مكلّفون ولو سمعوا لهلكوا، ولرعبوا ولما استقامت لهم الحياة، أما الحيوانات فربما وصلها من ذلك شيء وربما سمعت، فكان تعلقهم ليس بولي وليس بنبي، وإنما بمكانٍ تحته رجل نصراني وأشباه ذلك.

وهٰذه الأشياء لم يكن عليها شرك الأولين، فالأولون ما اتخذوا لعمرو بن لحي المشرك -الذي هو أول من سيّب السوائب وساق الآلهة- قبرا يعبدونه إلىٰ آخر أصناف علمائهم المشركين؛ لكن أهل الأزمنة المتأخرة اعتقدوا في أنواع من الناس من فسقة هٰذه الأمة أو ممن ارتد أو من النصارىٰ أو من اليهود.

لهٰذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ هنا: (وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ) -وفي النسخة التي عندي (هم الذين يُحِلُّون لهم الفجور) - (يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ) هٰذا الذي أعرفه (يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ مِنَ الزِّنَىٰ وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ وَالَّذي لا يَعْصِي -مِثْل الخَشَبِ وَالحَجَرِ- أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهَدُ فِسْقُهُ وفَسَادُهُ ويُشْهَدُ بِهِ.)، لاشك يراه يزني ويعتقد أنه ولي من أولياء الله!، يراه لا يصلي ويعتقد أنه من أولياء الله!= هٰذا لاشك أنه ضلال فوق الضلال، ويسأله ويدعوه ويرىٰ أنه يستشفع به لاشك أن هٰذا أعظم وأبشع مما يُذكر عن أهل الجاهلية.

نقف عند هٰذا لأن التي بعدها يدخل فيها شبهة جديدة.

والمطلوب من كلِّ طالب علم بعد معرفته لدلائل التوحيد والحجج أن يُمَرِّنَ نفسه علىٰ جواب الشّبه بعد إحكام الأصل، الإخوة الذين لم يُحكموا «كتاب التوحيد» ولم يحكموا «ثلاثة الأصول» ودخلوا في «كشف الشبهات» مباشرة أو ما ضبطوا تلك الكتب، فلا يَحسن أن يجيبوا عن الشبه إلا بعد أن يُحكموا الأصول؛ لأن هٰذه فرع عن تلك، من أحكم تلك يدرِّب نفسه علىٰ جواب هٰذه الشبه علىٰ طريقة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، يتأنىٰ ويكون حليما يعرف موقع الاحتجاج، يعرف كيف يجرّ المخالِف إلىٰ الحجة الصحيحة، يعرف كيف يُخلي القلب قلب -قلب المخالف-؛ من الحجة، ثم يبتدئ يعطيه الحق إلىٰ آخر ذلك، فتحتاج إلىٰ دُربة.

والملاحظ أن كثيرين يغضبون -وغضبهم محمود لله جل وعلا- ولكن يكون جوابهم للشبهات ليس علىٰ أصوله؛ فيوقعون المجادل في شبهة جديدة؛ بل قد يقتنع أن ما عليه حق؛ لأن هٰذا ما استطاع أن يجيب بجوابٍ جيد.

فالواجب علىٰ طالب العلم أن يكون متأنِّيا في جواب الشبهات، حاذقا، يعرف كيف يسوق المجادل أو يسوق الخصم إلىٰ ميدان الحجة دون أن يَلزَمه شيء، وفي «كشف الشبهات».....

.... أهل الشرك فيقيده حتىٰ نجمعه في الآخر يكون كالمقدمة أو الخاتمة لهٰذا الكتاب، ذكرنا أنا أذكر ذكرنا أربع أو خمس فيما مضىٰ، وهٰذه الآن واحدة جديدة يمكن لعل أحدكم تنهض همَّته فيجمع هٰذه الأصول الهامة في كيفية المناقشة؛ يعني كيف يجمع الموحّد نفسيَّته ليواجه الخُصوم.

نكتفي بهٰذا القدر فيه بعض الأسئلة؟

[الأسئلة]

سؤال (): ذكرت في الدرس السابق في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[الزخرف]، بأن العبادة ستكون للولد إرضاء لله تعالىٰ، فبهٰذا التفسير يكون حجة للنصارىٰ؟

الجواب: هٰذا ظاهر الآية يحتجون أو لا يحتجون هٰذا ظاهر الآية، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ يعني لو كان للرَّحمٰن ولد فأنا سأعبده إرضاء له تعالىٰ لأنه الذي أمرنا بعبادته، وهٰذا هو تفسير الجمهور.

والتفسير الثاني للآية أن معنىٰ ﴿الْعَابِدِينَ﴾ الرافضين فإن كان للرَّحمٰن ولد فأنا أول من يرفض هٰذه العبادة، وهٰذا التفسير ساقه ابن جرير وابن كثير عن طائفة من المفسرين؛ لكن قالوا: هٰذا الوجه ضعيف؛ لأن هٰذه اللغة لا يحمل عليها الكلام وإن كانت موجودة في لغة العرب؛ لكن لا يحمل لمخالفتها لتفسير جمهور الصحابة فمن بعدهم.

بالعكس فقد يكون هٰذا حجة علىٰ النصارىٰ ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ وهل له ولد؟ لا، القرآن كله فيه نفي أن يكون لله ﷻ ولد ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾[المؤمنون:٩١].

[﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الأنعام]، صححوها ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ طيب الآية الثانية يصححها الأخ جزاه الله خيرا ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾[الرعد:١٦]. هٰذا صحيح]

سؤال (): ذُكر في «الأربعين النووية» أن العقل في القلب، وقد أشكلت عليّ، ما هي ولو باختصار؟

الجواب: العقل إدراكٌ، ليس جُرما، العقل إدراك، عَقَل الشيء أي أحاط به فأدركه، هٰذا العقل من الذي يعقل؟ الذي يعقل إيش البدن أو الروح؟ الذي يعقل الروح، والبدن وسيلة؛ وسيلة لتحصيل معارف الروح، مثل ما ذكرنا.

الروح منتشرة في البدن، أصلها مركزها -هي منتشرة-؛ لكن مركزها والله أعلم بكيفية ذلك؛ مركز الإدراكات في الموقع الذي فيه القلب، ولهٰذا قال: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**»، والأصوليون يبحثون هٰذا ويطيلون فيه؛ هل العقل في الرأس أم في القلب؟ والصحيح أنه في القلب، لأن هذه ظواهر الآيات هكذا.

سؤال (): كلُّهم يسألون نفس المسألة: هل يُفهم أنَّ الروح موجودة في القلب؟

الجواب: لا، الروح ليست في القلب، الروح علىٰ هيئة البدن، الروح منتشرة مثل البدن بمعنىٰ لو فصلت الروح علىٰ البدن لصارت نفس الصورة؛ لكنها صورة غير جثمانية؛ لأن الميت يُرىٰ في المنام، يرىٰ الرائي النبي ﷺ في المنام فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي**»، ومعلوم أن رؤية النبي ﷺ في المنام علىٰ صورته التي كان عليها رؤيةٌ لروحه؛ لأن بدنه مدفونٌ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، رؤية النبي ﷺ للأنبياء في السماء؛ رأىٰ موسىٰ، ورأىٰ آدم، ورأىٰ عيسىٰ، رأىٰ أيش؟ رأىٰ أرواحهم، لهٰذا صورة الإنسان الجثمانية في البدنية، وغير الجثمانية في الروح، فالروح منتشرة لها أيضا موقع أصل مثل ما يكون القلب هو الأصل بالنسبة للبدن؛ يعني من حيث ضخ الدم وحركة البدن، كذلك من جهة الإدراكات ومن جهة تعلُّقات الأشياء بالروح فموقعها في هٰذا الأصل.

هٰذا ظاهر ما دلت عليه النصوص، ويُجمع علىٰ هٰذا النحو، وليس هٰذا من الخوض في الروح المنهي عنه في قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

[الإسراء]؛ لأن البحث في الروح الذي يكون نتيجة للتفقُّه في الكتاب والسنة هٰذا مطلوب؛ ولكن إذا كان عن ظنّ وعقل وتجارب وأشباه ذلك بلا برهان شرعي فهٰذا هو المذموم.

سؤال (): هل يكون المقصود من الكلام الثاني خاص لأهل التوحيد؟

الجواب: نعم، أنا ذكرت أن الثاني أن منهم ممن يعبدون ويدعون أو أولياء منهم من لا يصلي ومنهم من يأمر بالفسق ويُحكىٰ عنه الزنىٰ وشرب الخمر إلىٰ آخره هٰذه لإيقان الموحد؛ لكن لا تدخل معه في النقاش، إذا قلت له: هٰذه الأشياء.. جادلك فيهم، وهيهات كيف تثبت؟ لا سبيل إلىٰ الإثبات؛ يعني لكل مجادل.

سؤال (): لو قام دعاة إلىٰ التوحيد وقالوا لعباد القبور: نعم نوافقكم أن هؤلاء أولياء، فإنه يكون هناك تناقض بين الدعاة الذين قالوا أنهم ليسوا بأولياء، فيشك المدعوون في هٰذه الدعوة؟

الجواب: الداعي لابد أن يكون حكيمًا، قد يكون المناسب أن يسكت، يقول: ليس الكلام فيهم، إذا كانوا أولياء فمقامهم عند الله...؛ يعني يعلقها بالشرط، إذا كان يرىٰ مصلحة، وإذا كان هٰذا المدفون وليا من أولياء الله يقر بولايته، إذا قال: الحسين بن علي، قال: نعم، أو أهل البيت الذين لم يعرف عنهم شيئا من الفسق إلىٰ آخره فيقول: نعم هم أولياء، لا مانع من هٰذا، ولو صار فيه تعارض بينه وبين غيره، والحق أحق أن يُتَّبع.

سؤال (): سؤال لم أفهم المقصود منه لكن أقول:

كتب أهل العلم الراسخين أليس فيها بركة ويؤجر حاملها، ويتوسل مقتنيها بطلبه لعلمها الشرعي؛ لأن ذلك مما يتقرب به إلىٰ الله بذلك؟

الجواب: نعم لا شك، كتب أهل لعلم الراسخين فيها بركة، ويؤجر حاملها بنية طلب العلم، ويتوسّل مقتنيها بطلبه لعلمها الشرعي، هٰذا ما لها علاقة بوجود الكتاب في السفينة، أو وجود الكتاب في السيارة، فجعل الكتاب في السيارة توسُّلا به هٰذا من التبرك الباطل، حتىٰ المصحف ما يجعل يُتخذ تميمة علىٰ الصحيح مثل ما ذكرنا لا يجوز، فاتخاذ كتاب آخر تميمة يرجو نفعه ويرجو دفع الضر هٰذا من الشرك، نوع من أنواع اتخاذ التمائم، التوسل بطلب العلم بعملك أنت، أما بالكتاب هٰذا شرك.

سؤال (): أستشيرك في حضور هٰذا الدرس، وهو أني لم أسمع شرح «كتاب التوحيد» و«القواعد الأربع»، فهل أستمر؟

الجواب: الذي ينبغي أن لا تستمر، فتنظر، تحضر درس آخر أو دروس أخر ويكون فيها بداية لطالب العلم بدايةً صحيحة.

سؤال (): ذُكر في كتاب «نُزُل الأبرار» أن الحامل إذا اشتد عليها الحمل يوضع علىٰ بطنها موطأ الإمام مالك فيخف بإذن الله، وهو مجرب.

الجواب: يمكن الشافعية يقولون: تحط «مسند الشافعي»، هٰذا المالكية قالوا: تحط «موطأ» الإمام مالك، والشافعية يقولوا: تحط «مسند الشافعي»، هٰذا يقال: مجرب ولا أثر لذلك، قد يتفق أنه حصل مرة حصل مرتين بإذن الله فوافق هٰذا؛ لكن لا يجوز الاعتقاد في الكتب هٰذا الاعتقاد أن فيها بركة وتتخذ تمائم.

سؤال (): الكلام علىٰ الشهداء مرَّ علينا، يقول: الذين يطوفون حول أضرحة وقبور الشهداء ويقول: الله يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[آل عمران:١٦٩]؟

الجواب: ذكرنا في أول شرح «كشف الشبهات» الجواب عن حال الشهداء بالتفصيل؛ لكن من أقوىٰ الحجج اختصارا أن شهداء أحد الذين نزلت فيهم هٰذه الآية من آل عمران أجمع المسلمون في حياة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ وهو بينهم وكذلك أجمع الصحابة في حضرة الخلفاء، وأجمع من بعدهم إلىٰ انتهاء القرون المفضلة الثلاث= أجمعوا علىٰ أنهم لا يؤتىٰ الشهداء في قبورهم ليُسألوا، وإنما يأتي من مر عليها دون قصد أو شد رحل فيسلِّم عليهم السلام المعتاد، فهٰذا الإجماع قطعي والإجماع حجة وقد قال جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء].

سؤال (): هل يجوز أن نقول: فلان من الناس ولي جازما، وهو رجل معروف بالفضل؟

الجواب: ترجو أن يكون وليا، وعموما هدي السلف ليس فيه أنه يقال: هٰذا ولي وهٰذا ولي، يرجون أن يكون فلانا وليا، وتطالع هدي الصحابة وتراجم الصحابة والتابعين لا تجد هٰذه الأسماء هٰذا ولي وهٰذا ولي، إنما يذكرون فضله وصلاحه ليقتدي الناس به، أما منزلته فهي عند الله جل وعلا.

سؤال (): بعض الناس يشتبه يقول: تقسيم التوحيد المعروف لدينا لم يكن علىٰ عصر الرسول ﷺ؛ بل كان الرسول ﷺ يأمر من أراد الإسلام بالشهادتين ولا يقسم التوحيد المعروف عند الناس؟

الجواب: ما فيه شك لو كان الناس كأولئك ما احتجنا إلىٰ تقسيم التوحيد، إنما لما فشىٰ الجهل في الناس احتاج أن تقول له خرج محمد ومحمد فاعل، أما عند الصحابة تقول خرج محمد فعل وفاعل أيش هٰذا، يضحكون عليك إيش هٰذا؟ فحين وقع الناس في الجهل احتجنا إلىٰ التفصيل، وإلا من المعلوم أن من قال: أشهد أن لا إله إلا الله فهو مقر بأنواع التوحيد الثلاثة، تكفي؛ لأنها متضمنة لتوحيد الربوبية ومطابقة في توحيد الإلهية ومستلزمة لتوحيد الأسماء والصفات، أو تقول أيضا: متضمنة لتوحيد الأسماء والصفات، فهٰذا ظاهر من كلمة (لا إلٰه إلا الله).

فإذا فشا الجهل في لناس فلا بأس أن يفصل لهم من العلم ما هو ثابت في الكتاب والسنة بتقسيمات ليتّضح المراد.

مثل: ما عند الصحابة شروط الصلاة كذا، أركان الصلاة كذا، وواجباتها كذا، كل هٰذه العلوم تقسيمات لأجل حاجة في الناس.

سؤال (): ما صحة الحديث الذي يحتج به علىٰ دعاء غير الله «إذا كنت في أرض فلاة فقل: يا عباد الله احبِسُوا»؟

الجواب: هٰذا الحديث رُوِي، ومن أهل العلم من حسّنه، وعلىٰ القول بتحسينه فلا حرج -يعني لا إشكال فيه-؛ لأن قول الذي ضل الطريق: (يا عباد الله احبسوا) يقصد به الملك الذي معه، لا يقصد به الجن أو يقصد به مخاطبة من لا يقدر أو ما أشبه ذلك، وهٰذا علىٰ القول بصحته، وقد استعمله بعض العلماء، فدُلُّوا علىٰ الطريق.

فليس في الحديث مناداة الغائبين الذي يحتج به أهل الشرك، وإنما هو قول: (يا عباد الله احبسوا) تتمة الحديث «فإن لله جل وعلا عبدا حاضرا سيحبسه» والظاهر عند أهل العلم أن المراد بالعبد الحاضر هو الملك الذي يسدده؛ لأن الإنسان معه الملائكة كم قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[الرعد:١١]، يعني يحفظونه بأمر الله.

سؤال (): ما معنىٰ قول بعض السلف أن معنىٰ ﴿الصَّمَد﴾ هو الذي لا جوف له. ما معنىٰ ذلك وكيف نوفق بينه وبين المعاني الأخرىٰ؟

الجواب: الصمد فسرت بتفسيرات مثل ما ذكرنا لكم آنفا أو فيما سبق:

- الصمد الذي يُصمد إليه عند الحوائج؛ وهٰذا أكثر التفاسير علىٰ هٰذا عند السلف.

- والصمد أيضا في اللغة يقال: فلان صمد إذا كمُلت خصال سؤدده وصفات فضله، كمال الصفات والخصال المحمودة يقال: فلان صمد، يقال لسيد القبيلة التي كملت صفاته: هٰذا صمد؛ يعني بلغ في الصفات البشرية عندهم الغاية؛ في الكرم كذا، وفي النجدة كذا، وفي التواضع كذا، وفي الحنكة كذا، وفي الحكمة كذا وفي الرأي إلىٰ آخره.

- وفُسرت أيضا الصمد بأن الصمد هو الذي لا جوف له؛ يعني الإنسان والمخلوقات التي تراها هٰذه لها جوف ولها أحشاء، ولها أشياء في داخلها فالصمد هو الذي لا جوف له هٰذا يخرج مشابهة المخلوقات، فلا يُظن أن اتّصاف الله جل وعلا باليد أن ذلك عن طريق تجويف، أو اتصاف الله جل وعلا بالقدم أن ذلك عن طريق تجويف أو اتصاف الله جل وعلا بالعينين أن ذلك عن طريق تجويف إلىٰ آخره، فهو ﷻ صمدٌ قد كَمُل سبحانه في أسمائه وصفاته.

سؤال (): ما معنىٰ الأقانيم؟

الجواب: الأقانيم هٰذه عند النصارىٰ، التي ذكرناها عندكم في الدرس الماضي، الأقانيم النصارىٰ يعجزون عن أن يفسرونها بتفسير صحيح، مثل الكسب عند الأشاعرة يعجزون عن تفسيرها تفسيرا صحيحا.

ومعناه القريب؛ أنَّ الأقنوم: الصورة أو إحدىٰ الصور للأصل؛ يعني أن الشيء إذا كان له ثلاث جهات يعني أشبه ما تقول يعني شيء له بعد ثلاثي، فإذا أتيت من هنا قلت: هٰذا هو، وإذا أتيت من هنا قلت: هٰذا هو وإذا أتيت من الجهة الثالثة قلت: هٰذا هو.

فعندهم أن الله جل وعلا ثلاثة أقانيم: إله واحد آب يعني أب وابن وروح القدس، هٰذا عند الكاثوليكيين؛ أب وابن وروح القدس يشكلون جميعا ثلاث صور لشيء واحد وهو الله.

لهٰذا يقولون بعدها: إلٰه واحد، وهٰذا كفّرهم الله جل وعلا بهٰذه المقالة، فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، ونعلم أن قول: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ من حيث اللغة يعني أنه منها وليس خارجًا عنها.

ففي اللغة أن الشيء إذا كان من جنس عدده أُدخل فيه، وإذا لم يكن من جنس عدده أخرج منه، تقول مثلا: كنت ثالث ثلاثة، كنت رابع أربعة، كنت خامس خمسة إذا كانوا من الإنسان، الله جل وعلا قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[المجادلة:٧]، لاحظ هنا قال (ثلاثة رابعهم) لأن الله مباين لهم، أما إذا كان المعدود من جنس المعدود فيدخل في العدد، مثل ما قال جل وعلا في سورة المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، فهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ يعني داخل في العدد؛ الآب الذي هو الله والابن وروح القدس شيء واحد كلها إلهية لم تأخذ صفة الناسوتية، ولهٰذا يكون ثالث ثلاثة بحسب تعبيرهم فهو دخل في التثليث، نسأل الله العافية.

سؤال (): ما حكم الأبيات التي في «نهج البردة»، وهل يجوز للموحدين حفظها؟

الجواب: لا، لا يجوز لأحد أن يحفظ الأبيات الشركية؛ إلا لأهل العلم الذين يحتاجون إذا حفظوها أن يردوا علىٰ الخصوم، نعم، أما لسائر الناس أو لعامة طلبة العلم؛ لأن هٰذا شرك، والشرك لا يُحث عليه ولا يخاطر المرء بتوحيده فيه، فالأصل السلامة إلا عند الحاجة فيؤخذ الشيء بقدْره.

نكتفي بهٰذا، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.